المركز المغربي للدراسات الإنسانية والأبحاث التربوية

Centre marocain d'études humanitaires et de recherche en éducation

Classes inversées.... الأقسام المقلوبة

DR EZZOUINI ABDELFETTAH



Classes inversées.... الأقسام المقلوبة

DR EZZOUINI ABDELFETTAH

يعتبر العصر الرقمي محفزا قويا لظهور أنماط جديدة في طرق واستراتيجيات وأساليب وبيداغوجيات التعليم، ولعل بيداغوجية " **الفصول المقلوبة**" يعد المثال المثالي على هذا التحول والتطور المستمر ما بين المعرفة والتقنية، ولهذه الاعتبارات أصبحنا نشاهد حيوية كبيرة أنعشت المكتبات التربوية بالمزيد من البحوث المتخصصة والدراسات الأكاديمية الرصينة لتطوير مناهج وطرق التعليم والتكوين والرقي بعالم التربية والتعليم، **وفي هذا السياق يندرج هذا البحث المتواضع الذي يتوخى رصد تجليات هذه البيداغوجية الواعدة، والوقوف على أهم التحديات والآفاق الاستشرافية لها.**

فكرة **المشروع**:

لاجرم أن المتعلم هو المحور الأساس الذي ينبغي أن تدور حوله العملية "التعليمية ـ التعلمية"، وأن المدرسَ يستحسن أن ينحصرَ دورُه الجوهري في التوجيه والإرشاد وتذليل صعوبات التعلم، لذلك **تبرز فكرة هذا المشروع الواعد من خلال سعيه إلى تحقيق تدبير سديد لزمن التعلُّمات الفصلية، وإيثار التفاعل التشاركي الجماعي في بناء المعرفة بالتحليل والمناقشة .**

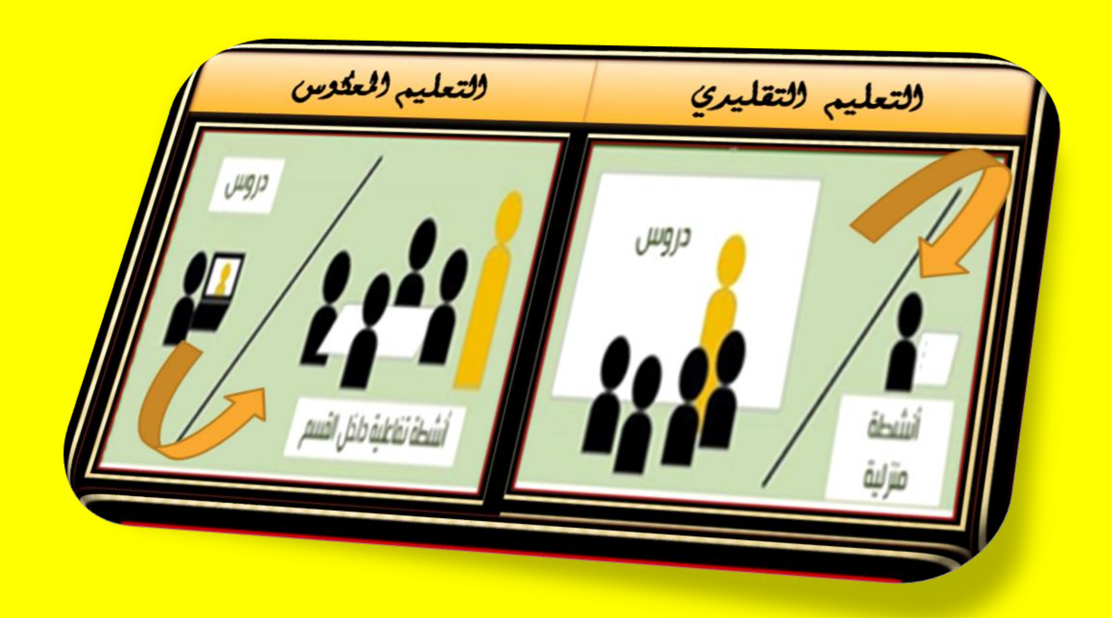
التعريف بالمشروع:

من المعروف أن العملية "التعليمية ـ التعلمية" في بناء التعلمات، ينجز حيزٌ مهمٌ منها داخل الفصل، فيما يُكمّل المتعلمُ ما تعلق منها من تطبيقات وتمارين وتدريبات في المنزل؛ لذلك تقوم فكرة هذه البيداغوجية على قلب وعكس هذه المراحل والمحطات، وذلك باستغلال تكنولوجيا المعلومات والموارد الرقمية في إعداد الدروس واستقبالها من قبل مختلف المتدخلين، **حيث يقوم المتعلم باستقبال الدروس عبر الوسائط التكنولوجية المتاحة على شكل موارد رقمية مناسبة؛ فيديوهات قصيرة وملفات صوتية أو غيرها من الوسائط، فيكون عمل المتعلم في المنزل كإعداد قبلي للدرس، فيما يخصص زمن التعلمات داخل الفصل للتحليل، والمناقشة، والإغناء، والإثراء، والاستثمار، والعمل الجماعي داخل مشروعات وتدريبات ذات الصلة.**

يقرب لنا هذا الرسم التوضيحي فكرة بيداغوجية التعليم المعكوس، والفرق بينها وبين بيداغوجيات التعليم التقليدي.

Classes inversées.... الأقسام المقلوبة

DR EZZOUINI ABDELFETTAH



لذلك يشير العديد من الخبراء وأهل الاختصاص إلى أن مجتمعنا اليوم سيكون تعليميا بامتياز « Vers une société apprenante »، **نظرا لما توفره الموارد الرقمية من إمكانيات وفرص جديدة لتكثيف عملية التشارك المشترك في المعرفة ونشرها، حيث يمكن الوصول إلى العديد من الموارد التعليمية دون قيود زمنية أو مكانية**، الشيء الذي يُبرز أهمية التكنولوجيا الرقمية في تحول المدرسة وفي تطور التعلم .

كما يمكن لهذه الطريقة أن تحد بشكل كبير من الأساليب السيئة في طرق التدريس، حيث يمدنا داميان سيميكا " Damien Scimeca" ، أستاذ الفيزياء والكيمياء المعتمد في باريس في مقابلة على موقع لودوماج: "إن إلقاء محاضرة يكون أحيانًا سلبيًا جدًا بالنسبة للطلاب"ويضيف "هذه الطريقة تساعدني على القيام بشيء آخر في الصف من خلال أنشطة تفاعلية وموازية مدعمة، من خلال استخدام مقاطع الفيديو قبل حصص الفصل الدراسي".

وتبعا لمثل هذه المؤشرات؛ يمكن اعتبار هذه المقاربة في التعليم أداة لهذا المدرس وغيره، **للقيام بشيء آخر داخل الفصل واستغلال أكثر لزمن التعلمات بأنشطة موازية وتفاعلية بهدف الإغناء وتنمية الحس النقدي.**

وهذا ما انكب عليه بعض أساتذة العلوم الفيزيائية بجامعة هافارد، حيث اعتمدوا منظومة **"التعلم الذاتي عن بعد"**، متبوعا بمرحلة **"بناء المعارف بشكل تعاوني"** عن طريق الأقران، وفي هذه المرحلة يتم التعلم بحضور المتعلمين، وهذا ما جعلهم متحملين للمسؤولية في تحضير مضامين الدروس قبل

حضورهم الفصل كإعداد قبلي، **لاسيما وأن أغلبهم، الآن، يمكن أن يُقبل على الانخراط عن طواعية في الإعداد التقني والعلمي لمضامين الدروس في شكل موارد رقمية مناسبة، الشيء الذي يُحفِّز ويولد تفاعلية أكبر داخل الفصل من خلال تقاسم الأفكار والمعارف، والبناء المشترك للمعارف المكتسبة، والتقويم التعاوني بين الأقران.**

وهذا الشكل التوضيحي، يوضح لنا هذه العمليات المرتبطة بالتعليم المقلوب أو المعكوس مقارنة مع التعليم التقليدي.



مزايا بيداغوجية الأقسام المقلوبة أو المعكوسة

- ✓ الاستغلال السديد لزمن التعلمات داخل الفصل وخارجه.
- ✓ إعطاء وقت كاف وإضافي للمدرس لسد الثغرات ومعالجة التعثرات .
- ✓ التركيز على توضيح المفاهيم وتثبيت المعارف والمهارات.
- ✓ الاستفادة المستمرة للمورد الرقمي الحامل لمضامين الدروس بإتاحة إمكانية وصول المتعلمين إلى هذه المضامين خارج الفصول، وهم في تمام الاستعداد لمختلف الأنشطة التفاعلية الصفية تطبيقا وإنتاجا.
- ✓ الاهتمام بالفروق الفردية وتقليص الفوارق.

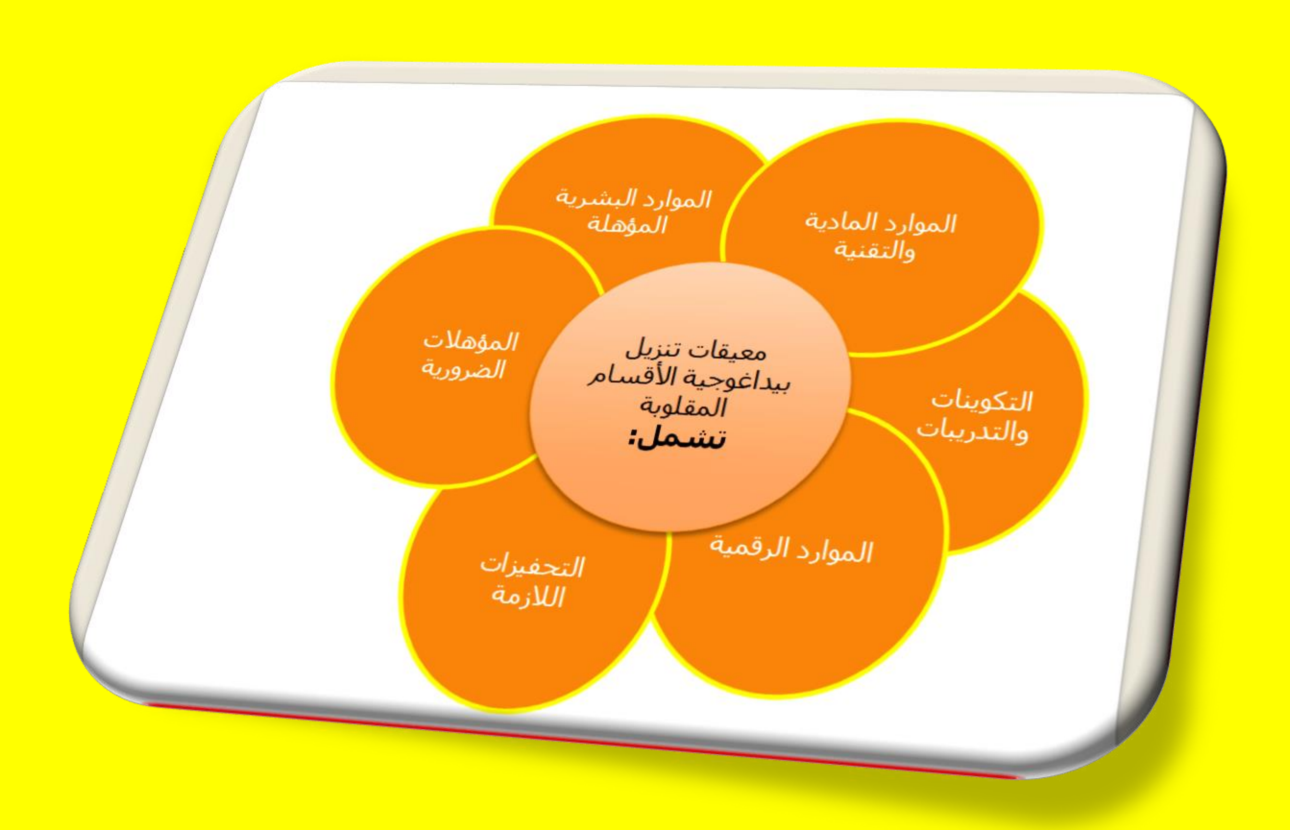
- تعزيز القدرات والمهارات المتعلقة بالتعلم الذاتي والتواصل والتعاون بين المتعلمين، وتنمية مهارات التفكير والبحث العلمي والحس النقدي البناء والابتكار **والاندماج الإيجابي داخل المجتمع**.
- تنمية مهارات التواصل والاكتشاف والبحث العلمي والتعلم الذاتي، وإنشاء جسور التفاعل المباشر بين المتعلم والمدرس؛ كركيزة أساسية لبناء التعلم من جهة، وبين المتعلمين فيما بينهم،**كجسر لبناء المعارف بشكل تعاوني عن طريق الأقران من جهة أخرى**.
- الرفع من المردودية التربوية بِجعل الفعل التعلُّمي في أعلى وأرقى مراتبه.
- الوسيلة الأمثل **لإدماج تكنولوجيا التعليم في منظومة التعليم والتكوين دون المساس بمبادئ التعليم التقليدي**، وفي حفاظ تام على خصوصيات منهجية تدريس المواد التعليمية .
- سعيه لتعزيز الذات المتعلِّمة، وبثِّ الثقة وروح المبادرة لتأهيل المتعلم للتعلُّم مدى الحياة، **وهذه المهامُّ الملقاة على مدرس الفصول المقلوبة تصيِّره بيداغوجيًّا (معلمًا، وميسرًا، مربيًا ومُهذِّبًا ومتواصلًا**.
- إِستغلال الوسائل التكنولوجية في مجال التعليم، واستخدامها للاستفادة من التعلم في الفصول الدراسية؛ **حتى يتمكَّن المدرس من قضاء مزيد من الوقت في التفاعل مع المتعلمين بدلًا من إلقاء المحاضرات**.
- تشجع العمل التفاعلي بين المتعلمين في بناء المفاهيم وحل المشكلات، حيث يقول إريك مازور في كتابه (تعليم الأقران، 1997 :(*Peer Instruction*) : " **ليس هناك طريقة تساعد على توضيح الأفكار غير اللجوء إلى شرحها للآخرين**."، كما يقول: " أراهن في الفصل على التفاعل، أطرح الأسئلة، وعلى التلاميذ مناقشتها مع زملائهم الموجودين بجانبهم ومحاولة إقناعهم."
-

معيقات تطبيق البيداغوجية المقلوبة:

قد يعترض تطبيق بيداغوجية الأقسام المقلوبة عدة معيقات نذكر من بينها :

- عدم توافر البرمجيات اللازمة لتسجيل وإعداد الدروس.
- عدم توافر بعض الأطر التربوية على المهارات التقنية والمعلوماتية اللازمة لإنتاج الموارد الرقمية الحاملة لمضامين الدروس المستهدفة.
- غياب التكوينات المناسبة لبلورة تجليات هذا المشروع وإنزاله من علياء التنظير إلى الواقع التربوي.
- عدم توافر تغطية شاملة لخدمة الانترنيت بصبيب ملائم تشمل جميع المتداخلين والفاعلين.

- ✓ غياب التحفيز اللازم لدى المتعلمين لمتابعة الدروس خارج الفصول.



توصيات ومقترحات:

- ✓ القيام بدورات تكوينية في مجال استعمال الموارد الرقمية في التعليم عن بعد لكافة المتدخلين؛ ولعلني أذكر في هذا السياق قول المدير السابق لإدارة التعليم Tom Carroll لإعداد مدرسي المستقبل على استخدام التكنولوجيا في أمريكا في كتابه "استخدام التكنولوجيا في الصف، ترجمة: أميمة عمور وحسين أبو رياش"، يقول: "**إن قوة التكنولوجيا في تعليم الطلبة لا تأتي من وجود أجهزة الحاسوب في غرفة الصفِّ أو من خلال الإنترنت، لكنَّ القوة الحقيقية للتكنولوجيا في التعليم ستأتي عندما يتدرَّب المعلمون بشكل جيد، ويحصُلون على مكامن التكنولوجيا بأنفسهم.**"
- ✓ تشجيع البحث العلمي في هذا المجال، وذلك بانفتاح مراكز البحوث أكاديميا وجامعيا على مستجدات البحث التربوي بهدف المواكبة والتفاعل الحضاري بين باقي التجارب الإنسانية الناجحة.

- إنشاء مواقع خاصة بكل مؤسسة تربوية وكل أكاديمية للتربية والتكوين من أجل التواصل والتفاعل بين كافة المدخلين وتبادل التجارب والخبرات.
- تذليل الصعوبات المادية والمعنوية أمام انتشار بنية رقمية قوية ومحفزة على العمل النشط المتسم بالجودة والابتكار.
- بلورة استراتيجية متكاملة التجليات والأبعاد تُعنى بالمنظور النظري والتطبيقي، وتروم تحديد كافة الأسس والقواعد، يسهر على ذلك خبراء ومتخصصون في مجال علوم التربية والإعلام؛ على اعتبار أنه ليس كل معلم قادرًا على قلْب صفِّه، ولا كلُّ من قلَب صفَّه وُفِّق في تحقيق الهدف منه.
- العمل على المزج بين البيداعوجية التقليدية وبيداغوجية الفصول المقلوبة؛ حيث يصرح بعض الخبراء، كجان تشارلز كايليز: "الابتكار التربوي ليس إعادة اختراع كل شيء ، ولكن لنرى كيف نوضح طرقًا جديدة للعمل مع الطرق القديمة ."